بسمِاللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الاستغفارُ

الخُطبةُ الأُولَى:

الحمدُ للهِ العزيزِ الغفَّارِ، غافرِ الذَّنْبِ وقابِلِ التَّوبِ، نَحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ ألَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ؛ الاستغفارُ –أيُّها المسلمونَ– دأْبُ الأبرارِ، وسبيلُ الأخيارِ، وطريقُ الوصولِ إلى رحمةِ العزيزِ الغفَّارِ، الاستغفارُ رحَماتٌ منشورةٌ يوفِّقُ سبحانه إليها الصَّادقينَ الوَجِلينَ مِن عِبادِه، والاستغفارُ كذلك ضرورةٌ من ضروراتِ التَّوبةِ والرُّجوعِ إلى اللهِ سبحانه؛ لأنَّ الإنسانَ إذا لم يَعترفْ فِعلًا أنَّه ارتكَبَ ما يَحتاجُ إلى الاستغفارِ منه، وإذا لم يقدِّمْ الاعتذارَ على ما بَدَرَ منه؛ فإنَّ عودتَه إلى اللهِ وتوجُّهَه إليه لن يَكونَ حارًّا صادقًا، أمَّا إذا اعترفَ بتقصيرِه نحوَ خالقِه، وتفريطِه في جَنبِ اللهِ، وإسرافِه على نَفْسِه؛ فإنَّه سيندفعُ بكلِّ جوارحِه نحوَ ربِّه راجيًا أن يتقبَّلَه سبحانه، وأن يَغفرَ ذنْبَه، ويعفوَ عنه، لِهذا فقد أَثنى اللهُ سبحانه على هذا الصِّنفِ من عِبادِهِ الَّذينَ تُقلقُهم المعصيةُ، وتَهُزُّ كِيانَهم، وتقُضُّ مضجعَهم، فيَذكرون اللهَ، ويتوبونَ إليه، ولا يُصِرُّون على ما هم عليه؛ يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

عِبادَاللهِ: اعلموا أنَّ اللهَ قد أمَرَنا بالتَّوبةِ إليه والاستغفارِ من ذُنوبِنا في آياتٍ كثيرةٍ من كِتابِه الكريمِ، وسمَّى ووَصفَ نفْسَه بالغفَّارِ، وغافرِ الذَّنْبِ، وذِي المغفِرةِ، وأَثنى على المستغفرينَ، ووعَدَهم بجزيلِ الثَّوابِ. وقد قَصَّ اللهُ علينا عن أنبيائِه أنَّهم يستغفرونَ ربَّهم، ويتوبون إليه، فذَكَرَ عن الأبوَينِ عليهما السلام أنَّهما قالا: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وذَكَر لنا عن نوحٍ عليه السلام أنَّه قال: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، وقال أيضًا: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وذَكَر عن موسى عليه السلام أنَّه قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وذَكَر عن نبيِّه داودَ عليه السلام أنَّه قال: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، وذَكَر عن نبيِّه سليمانَ عليه السلام أنَّه قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥]، وأَمَر خاتمَ رُسلِه نبيَّنا محمَّدًا بقولِه: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، وقد كان نبيُّنا يُكثِرُ من الاستغفارِ؛ فعنْ ابنِ عُمرَ ﷺ: (ربَّما أَعُدُّ لِرسولِ اللهِ ﷺ في المَجلسِ الواحدِ مِائةَ مَرَّةٍ يقولُ: ربِّ اغفرْ لي وتُبْ عليَّ، إنَّك التَّوابُ الرَّحيمُ) [أخرجه ابنُ حِبَّانَ (٩٢٧)]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «طُوبَى لِمنْ وَجَدَ في صحيفتِه استغفارًا كثيرًا» [أخرجه ابنُ ماجَه (٣٨١٨) عن عبد الله بن بسر ﷺ]. وقال اللهُ تعالى عن الملائكةِ المقرَّبينَ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى عن عِبادِه الصَّالحينَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، وأمَرَنا بالاستغفارِ فقال: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]، وفي الحديثِ القُدْسيِّ يقولُ سبحانه: «يا عِبادي، إنَّكم تُخطِئونَ باللَّيلِ والنَّهارِ، وأنَا أَغفرُ الذُّنوبَ جميعًا، فاستغفِروني أَغفرْ لكم» [أخرجه مسلمٌ (٢٥٧٧) عن أبي ذَرٍّ ﷺ].

ولقد وَعَى المتَّقونَ ذلك، فكانوا يَبِيتون لِربِّهم سُجَّدًا وقيامًا، حتَّى إذا كان السَّحَرُ جَلسوا يَستغفرون اللهَ، فمَدَحهم اللهُ على ذلك، وآتاهم من النَّعيمِ ما لا عَينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَرٍ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥-١٨]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

عِبادَ اللهِ: إنَّ مِن رحمةِ اللهِ بكم ومَزيدِ فضلِه عليكم ما رَتَّبَ على الاستغفارِ مِن عظيمِ الجَزاءِ، وسابغِ الفضلِ والعطاءِ، فإنَّ كَثرةَ الاستغفارِ والتوبةِ من أسبابِ تَنَزُّلِ الرَّحَماتِ الإلهيَّةِ والألطافِ الرَّبَّانيَّةِ، والفَلاحِ في الدُّنيا والآخرةِ؛ كما قال سبحانه: ﴿لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]، وقال عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وإذا كَثُرَ الاستغفارُ في الأُمَّةِ، وعَمَّ أفرادَها، وصَدَرَ عن قلوبٍ موقِنةٍ مُخلِصةٍ؛ دَفَعَ اللهُ به عن العِبادِ والبِلادِ ضُروبًا من البَلاءِ والنِّقَمِ، وصُنوفًا من الرَّزايا والمِحن؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

ومِن ثَمَراتِ الاستغفارِ: أنَّه سَببٌ لِمغفرةِ الذُّنوبِ، وتكفيرِ السَّيِّئاتِ؛ كما في الحديثِ القُدْسيِّ: «فاستغفِروني أَغفرْ لكم»[أخرجه مسلمٌ (٢٥٧٧) عن أبي ذَرٍّ ﷺ]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وفي الحديثِ: «قال اللهُ تعالى: يا ابنَ آدمَ، إنَّك ما دعَوتَني ورجَوتَني؛ غَفرتُ لك على ما كان فيك ولا أُبالِي، يا ابنَ آدمَ، لو بَلَغَتْ ذُنوبُك عَنَانَ السَّماءِ، ثُمَّ استغفرتَني؛ غفرتُ لك ولا أُبالِي» [أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) عن أَنسٍ ﷺ].

ومن فوائدِ الاستغفارِ: أنَّه سببٌ لتفريجِ الهُمومِ، وجَلْبِ الأرزاقِ، والخروجِ مِن المَضائقِ؛ قال رسولُ الله ﷺ: «مَن لَزِمَ الاستغفارَ؛ جَعَلَ اللهُ له مِن كلِّ ضِيقٍ مَخرجًا، ومن كلِّ هَمٍّ فَرَجًا، ورَزَقَهُ من حيثُ لا يَحتسبُ» [أخرجه أبو داودَ (١٥١٨) عن ابنِ عبَّاسٍ ﷺ].

ومن فوائدِ الاستغفارِ: أنَّه سببٌ لِنزولِ الغَيثِ، والإمدادِ بالأموالِ والبَنينَ ونباتِ الأشجارِ، وتَوفُّرِ المياهِ؛ حَكَى اللهُ تعالى عن نَبيِّه نُوحٍ عليه السلام أنَّه قال لقومِه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]، وحَكَى عن هُودٍ عليه السلام أنَّه قال لقومِه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

هذه ثَمَراتٌ مِن ثَمَراتِ الاستغفارِ، لَعلَّنا جميعًا في حاجةٍ إليها في هذا الوقتِ الَّذي ارتَبَكتْ فيه حياتُنا، واختَلطتْ أُمورُنا، وتعطَّلتْ حاجاتُنا بسببِ ما اقترَفنا مِن ذُنوبٍ وآثامٍ، وبسببِ غَفلتِنا -ونحن المقصرون- عن أَمْرٍ لم يَغفُلْ عنه الصَّالحونَ الأَوَّابونَ، ولا الأنبياءُ المقرَّبونَ، أَلَا وهو الاستغفارُ، والتَّهيُّؤُ لِمفارقةِ هذه الدَّارِ إلى دارِ القَرارِ.

يَذكُرُ ابنُ الجَوزيِّ في صِفَةِ الصَّفوةِ أنَّ الرَّبيعَ بنَ خُثَيْمٍ قال لأصحابِه: (تَدرُون ما الدَّاءُ وما الدَّواءُ وما الشِّفاءُ؟ قالوا: لا. قال: الدَّاءُ الذُّنوبُ، والدَّواءُ الاستغفارُ، والشِّفاءُ التَّوبةُ) [«صِفةُ الصَّفوةِ» ٢/٣٥-٣٦].

أسألُ اللهَ أن يُلهِمَني وإيَّاكم الاستغفارَ، وأن يوفِّقَنا إلى التَّضرُّعِ بينَ يدَيه بالأسحارِ، أقولُ قولِي هذا، وأستغفِرُ اللهَ لي ولكم من كلِّ ذنْبٍ، إنَّه هو الغفورُ الرَّحيمُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ.

الخُطبةُ الثَّانيةُ:

الحمدُ للهِ على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ تعظيمًا لشانِه، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه المُصطفَى من بينِ إخوانِه.

أمَّا بعدُ؛ فيا أيُّها الإخوةُ: يُشرَعُ الاستغفارُ في كلِّ وقتٍ وكلِّ حينٍ:

- فقد شُرِعَ لِلمصَلِّي إذا انصرفَ من صَلاتِه أن يقولَ: أَستغفرُ اللهَ، أستغفرُ اللهَ، أستغفرُ اللهَ.
- وشُرِعَ للحُجَّاجِ إذا أفاضُوا أن يَستغفِروا اللهَ؛ لِقولِه تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].
- وفي ختامِ المَجلسِ أو ختامِ الحديثِ؛ كما جاء عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه ما كان يقومُ مِن مَجلسٍ إلَّا قال: «سبحانك اللَّهُمَّ ربِّي وبحمدِك، لا إلهَ إلَّا أنتَ، أستغفرُك وأتوبُ إليك»، فحينما سُئلَ عن ذلك قال ﷺ: «لا يقولُهُنَّ من أَحدٍ حينَ يقومُ من مجلِسه إلَّا غُفِرَ له ما كان منه في ذلك المَجلسِ» [أخرجه الحاكم (١٨٣٣) عن عائشة ڤ].

وقد أَخبرَ النَّبيُّ ﷺ عن فَضْلِ لُزومِ الاستغفارِ، حيثُ قال: «مَن لَزِمَ الاستغفارَ؛ جَعَلَ اللهُ له مِن كلِّ ضِيقٍ مَخرجًا، ومن كلِّ هَمٍّ فَرَجًا، ورَزَقَهُ من حيثُ لا يَحتسبُ» [أخرجه أبو داودَ (١٥١٨) عن ابنِ عبَّاسٍ ﷺ].

قال عليُّ بنُ أَبي طالبٍ ﷺ: (عَجِبتُ لِمن يَهلَكُ والنَّجاةُ معه). قِيلَ: وما هي؟ قالَ: (الاستغفارُ) [«المُجالَسةُ وجَواهرُ العِلمِ» ٤/ ٤٩].

قال سُفيانُ: دَخلْتُ على جَعفرِ بنِ محمَّدٍ، فقال: (إذا كَثُرتْ همومُك؛ فأَكثِرْ مِن: لا حَولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ، وإذا استَبطأْتَ الرِّزقَ؛ فأَكثِرْ مِن الاستغفارِ، وإذا تَدا ركَتْ عليك النِّعَمُ؛ فأَكثِرْ حمدًا للهِ) [«التَّرغيبُ في فضائلِ الأعمالِ وثوابُ ذلك» لابنِ شاهينَ ص١٠٤].

وعنِ الحَسَنِ أنَّه يقولُ: (أَكثِروا مِن الاستغفارِ في بُيوتِكم، وعلى موائدِكم، وفي طُرُقِكم، وفي أسواقِكم، وفي مَجالسِكم، أينَما كنتم؛ فإنَّكم ما تَدرُون متَى تَنزِلُ المَغفرةُ) [«التوبة» لابنِ أَبي الدُّنيا ص١٢٥].

ويقولُ أبو يَحيَى: (شَكَوتُ إلى مُجاهِدٍ الذُّنوبَ، قال: أينَ أنت مِن المِمْحاةِ؟) [«الزهد» لأحمدَ بن حنبلٍ ص٣٠٧]؛ يَعني مِن الاستغفارِ.

أمَّا ألفاظُ الاستغفارِ فهي متعدِّدةٌ؛ منها:

- أَستغفِرُ اللهَ، ومَعْناها: أَطلُبُ مِن اللهِ المَغفِرةَ، أو أَسألُ اللهَ أن يَغفِرَ لي.
- أَستغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه.
- أَستغفِرُ اللهَ الَّذي لا إلهَ إلَّا هو الحيَّ القيُّومَ، وأتوبُ إليه.
- ربِّ اغفِرْ لي، وتُبْ عليَّ، إنَّك أنت التَّوَّابُ الرَّحيمُ.
- ربِّ اغفِرْ لي، وتُبْ عليَّ، إنَّك أنت التَّوَّابُ الغفورُ.

عِبادَ اللهِ: سيِّدُ الاستغفارِ هو ما روَاه البخاريُّ في صحيحِه عن شدَّادِ بنِ أَوْسٍ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «سيِّدُ الاستغفارِ أن أن يقولَ: اللَّهُمَّ أنت ربِّي، لا إلهَ إلَّا أنت، خلَقتَني وأنا عَبدُك، وأنا على عَهدِك ووَعدِك ما استطعتُ، أعُوذُ بك مِن شرِّ ما صَنعْتُ، أَبُوءُ لك بنِعمتِك عليَّ، وأَبُوءُ لك بذَنْبِي» أيْ: أُقِرُّ وأَعترفُ بنِعمتِك عليَّ، وأُقِرُّ وأَعترفُ بذَنْبي «فاغفِرْ لي، فإنَّه لا يَغفِرُ يَغفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أنت». قال: «مَن قالَها مِن النَّهارِ مُوقِنًا بها، فماتَ مِن يومِه قَبْلَ أن يُمْسِيَ؛ فهو مِن أَهلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِن

اللَّيلِ وهو مُوقِنٌ بها، فماتَ قَبْلَ أن يُصبحَ؛ فهو مِن أَهلِ الجَنَّةِ» [أخرجه البخاريُّ (٦٣٠٦)].

أيُّها الإخوةُ: كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ؛ عنْ أَبي هُريرةَ ﷺ أنَّه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «والَّذي نَفْسي بيَدِه، لو لَمْ تُذنِبوا؛ لَذَهَبَ اللهُ بكم، ولَجاءَ بقومٍ يُذنِبونَ، فيَستغفِرونَ اللهَ، فيَغفِرُ لهم» [أخرجه مسلم (٢٧٤٩)].

فعَلَينا -أيُّها الإخوةُ- أن نُروِّضَ ألسِنَتَنا على كثرةِ الاستغفارِ، مع حُضورِ القلبِ، بَعْدَ الإقلاعِ عن الذَّنْبِ، والنَّدَمِ على فِعلِه، وإتْباعُ ذلك بالعملِ الصَّالحِ؛ حتَّى نَسعَدَ في الدَّارَينِ، ونَفوزَ بِرِضى ربِّ العالَمينَ، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

وعن أَبي هُريرةَ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ: «أنَّ رَجُلًا أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فقالَ: أيْ رَبِّ، أَذنَبْتُ ذَنْبًا -أو قالَ: عَمِلتُ عَمَلًا- فاغفِرْ لي. فقالَ تَبارَكَ وتعالَى: عَبْدِي عَمِلَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ به، قد غَفَرْتُ لِعَبدِي. ثُمَّ أَذنَبَ ذَنْبًا آخَرَ -أو قالَ: عَمِلَ ذَنْبًا آخَرَ- قالَ: رَبِّ إنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا، فاغفِرْ لي. فقالَ تَبارَكَ وتعالَى: عَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ به، قد غَفَرْتُ لِعَبدِي. ثُمَّ عَمِلَ ذَنْبًا آخَرَ، أو أَذنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: رَبِّ إنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا، فاغفِرْ لي. فقالَ اللهُ تَبارَكَ وتعالى: عَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ به، أُشْهِدُكم أنِّي قد غَفَرتُ لِعَبْدِي، فلْيَعمَلْ ما شاءَ» [أخرجه ابنُ حِبَّانَ (٦٢٢)]. والمَعنَى: ما دام كُلَّما أَذنَبَ استغفَرَ؛ غَفَرتُ له ما دام صادقًا في توبتِه وقولِه: أَستغفِرُ اللهَ، بحيثُ يقولُها مِن كلِّ قلبِه، ويَعزِمُ عَزْمًا أكيدًا على أن لا يَعُودَ، فإنْ عادَ واستغفَرَ؛ غَفَرَ اللهُ له.

فيَا إخوةَ الإسلامِ: عليكم بالاستغفارِ، أكثِروا منه في بُيوتكم، على موائدِكم، وعلى فُرُشِكم، وفي طُرُقِكم وأسواقِكم، وأينما كنتم، فإنَّكم لا تَدرُون متَى تَنزِلُ المَغفِرةُ. ولِذا (قال لُقمانُ لابنِه: يا بُنَيَّ، عَوِّدْ لِسانَك: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي؛ فإنَّ للهِ ساعاتٍ لا يَرُدُّ فيها سائِلًا) [«كلام الليالي والأيام» لابنِ أَبي الدُّنيا ص١٦].

والاستغفارُ -عِبادَاللهِ- إذا أَرَدْناه نافعًا؛ فلَا بُدَّ أن يَكونَ صادقًا، ولا بُدَّ أن يَكونَ مَصدرُه قلوبُنا لا أَلسِنتُنا وحَسْبُ، لا بُدَّ أن نَعِيَه، ولا نَقومَ به ونحنُ ذاهلونَ عنه وعن مَعْناه، ويَنبغِي أن يَكونَ مَبعَثَه ومُحرِّكَه نَدَمٌ على المَعاصِي والآثامِ، ورغْبةٌ في إصلاحِ العِلاقةِ مع الرَّبِّ الكريمِ، هذا هو الاستغفارُ الَّذي يُريدُه مِنَّا ربُّ العالَمين، وهذا هو الاستغفارُ الَّذي تَكُونُ ثَمَرتُه عفوًا ومغفرةً وتوفيقًا مِن اللهِ، أمَّا استغفارُ اللِّسانِ والقلبُ لاهٍ، أو استغفارُ اللِّسانِ والإنسانُ مُقيمٌ على المَعاصي والآثامِ؛ فهذا ليس استغفارًا، بل هذا الاستغفارُ قد يَكُونُ هو أيضًا ذَنْبًا يَحتاجُ إلى استغفارٍ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإسلامَ وانصُرِ المسلمينَ، وأَذِلَّ الشِّركَ والمشركينَ، ودمِّرْ أعداءَكَ أعداءَ الدِّينِ، واجعَلْ هذا البلدَ آمِنًا مُطمَئِنًّا وسائرَ بلادِ المسلمينَ.

اللَّهُمَّ احفَظْنا وبلادَنا وبلادَ المسلمينَ من الفِتَنِ، ما ظَهَر منها وما بطَن.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

أَعَدَّها

د. سعيدُ بنُ سعدٍ آلُ حَمَّادٍ

www.alhmmad.net

١٤٣٨/١٢/١٧هـ